

الخُرُوجُ عَلَى الْحَاكِمِ وَمَظَاهِرُهُ

وِيلِيهِ
الانحراف في
الإصلاح؟!

بقلم

بنخ د. محمد الحمود النجدي
عنه

حقوق الطبع محفوظة

جميع الحقوق محفوظة
للإسلاميات

فرع ضاحية صباح الناصر

مجمع الشيخ عبد الله المبارك الصباح الخيري

اللجنة العلمية

تلفون : ٢٤٨٠٩٠٢٢

فاكس : ٢٤٨٨٢٥١١

ص.ب : ١٥٥١ العارضية - الرمز البريدي ٩٢٤٠٠ الكويت

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

www.al-athary.net

هذه الرسالة

هي ورقة عمل

مقدمة لمؤتمر الإصلاح والتغيير - رؤية شرعية.

والذي أقامته وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بدولة الكويت، والذي عقد بتاريخ ٢ - ٣ ربيع الأول ١٤٣٤ هـ الموافق ١٤ - ١٥ يناير ٢٠١٣ م.

وقد أضفنا إليها زيادات نافعة بإذن الله تعالى.

المؤلف

١٢ جمادى الآخرة ١٤٣٤ هـ

٢٢/٤/٢٠١٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، القائل في كتابه العزيز ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ (البقرة: ١٤٣).

والقائل ﴿ وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ (الأنعام: ٥٥).

والصلاة والسلام على المبعوث رحمةً للعالمين، تركنا على مثل البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

فإن الحديث عن فرقة الخوارج هو حديث عن ماضٍ مؤلم، أضاعت فيه هذه الفرقة الطاغية من دماء الأبرياء، وحياة الأتقياء، وأموال المسلمين ما لا يُحصيه إلا الله سبحانه وتعالى، وصرفت الأئمة والخلفاء عن قتال أعداء الله تعالى، وأعداء المسلمين، إلى الاشتغال بقتالهم، ودفع

شروهم والتصدي لهم، كما حالت دون الدعوة إلى الله سبحانه، ونشر دينه.

وهكذا أصحاب البدع والضلالات قديماً وحديثاً، يستنفذون طاقات الأمة، ويضيِّعون جهودها بإخماد نار فتنهم عملياً، بتجيش الجيوش لكبت شرهم، وعلمياً برود العلماء عليهم، وبيان ضلالتهم بالكتب، والمقالات والخطب والمحاضرات.

وحديثاً ما حصل من إضلال لكثير من شباب المسلمين، وهدر لطاقتهم وأوقاتهم وأعمارهم، وتمزيق لشمل أمتهم، وإثارة للنزاع بينهم، والبغضاء في صفوفهم، وهم أحوج ما يكونون للاجتماع والائتلاف والتصدي لأعداء الله سبحانه وتعالى من المشركين والمنافقين، وأصحاب الضلالات من الفرق المارقة عن الدين.

ولهذا كان حقاً على العلماء وتلاميذهم، بذل الجهد الجهد في بيان ضلال هؤلاء، امثالاً لقوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾ (آل عمران: ١٨٧).

التعريف بالخوارج:

الخوارج فرقة من الفرق التي كان لها وجودٌ على مرِّ العصور الإسلامية تقريباً، لا يكاد يُقضى على جماعةٍ منهم، حتى تَنبَتَ أخرى في مكانٍ آخر؟! وهو مصداق حديث رسول الله ﷺ: «ينشأ نَشْيٌ يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قرنٌ قطع» قال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كلما خرج قرنٌ قطع، أكثر من عشرين مرة،» حتى يخرجَ في عَرَاضِهِم الدجال» رواه ابن ماجه (١٧٤).

وقال الإمام البخاري رحمه الله في كتاب «استتابة المرتدِّين المعاندين وقتالهم» من صحيحه (٢٨٢/١٢): باب: قتلُ الخوارج والملحدِّين بعد إقامة الحجَّة عليهم، وقول الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَتْ أَلَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمُ ﴾ (التوبة: ١١٥).

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يراهم شِرَارَ خلق الله، وقال: «انطلقوا إلى آياتٍ نزلت في الكفار، فجعلوها على المؤمنين» اهـ.

ثم روى بإسناده (برقم: ٦٩٣٠): عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سينخرج قومٌ في آخر الزمان، أحداثُ الأسنان، سُفهاء الأَحلام، يقولون من خيرِ قول البرية، لا يُجاوز إيمانهم حناجرهم، يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنَّ في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة»^(١).

قال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل: «كلُّ من خرجَ على الإمام الحقِّ، الذي اتَّفقت الجماعة عليه يُسمَّى خارجياً، سواء كان الخروج في أيَّام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو من كان بعدهم على التابعين لهم بإحسان والأئمة في كلِّ زمان»^(٢).

وزاد عليه ابن حزم رحمه الله في كتابه «الفصل في الملل والنحل» فقال: ويلحق بهم مَنْ شاعهم على أفكارهم، أو شاركهم في آرائهم في أيِّ زمان».

١- ثم ساق عليه رحمة الله حديثين بإسناده (برقم: ٦٩٣١)، وحديث (برقم:

٦٩٣٢)، في الخوارج الحرورية.

٢- الملل والنحل (١١٤/١)

وقال الحافظ ابن حجر عليه رحمة الله في تعريفهم في «الفتح»: «أما الخوارج فهم جمع خَارجة، أي: طائفة، وهم قوم مُبتدِعُونَ، سُمّوا بذلك لخروجهم عن الدّين، وخروجهم على خيار المسلمين» اهـ

وأصلُ بدعتهم: أنهم خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، حيث أنكروا عليه أشياء وتبرّوا منه وخرجوا عليه، لتنتعهم في شروط الخليفة بما يخالف هدي النبوة.

وقال الشيخ الدكتور عمر الأشقر رحمه الله تعالى في «الأضواء السّنية»: «فلما وقعت الفتنة الكبرى، التي أودت بحياة الخليفة الرّاشد عثمان بن عفّان رضي الله عنه، نبتت نابتةً تكفّر صحابة الرسول ﷺ وتتهمهم، وتردّ ما رووه من أحاديث، وكانت تلك الفرقة، فرقة الخوارج» اهـ (٣).

وكذلك رفضهم لواقعة «التحكيم» التي حصلت لعلي رضي الله عنه، وجيش معاوية رضي الله عنه، مع أنّهم هم الذين طالبوا أمير المؤمنين بالعمل بها.

وكذلك: العصبية القبليّة، حيث أنّ معظم الخوارج من ربيعة الذين كانوا من ذوي العداء التقليدي لمُضر، والتي منها قريش التي ينتمي لها علي رضي الله عنه، والتي جعل الشرع لها وحدها حقّ استلام منصب الأمير العام أو الخليفة.

قال الحافظ رحمه الله تعالى في «الفتح»: «وعظّم البلاء بهم - أي الخوارج - وتوسّعوا في معتقدهم الفاسد، فأبطلوا رَجَمَ المحصن، وقطعوا يد السارق من الإيْط؟!» اهـ^(٤).

وقال: «وأوجبوا الصلاة على الحائض في حال حيضها؟!» اهـ

وقال: «وحكّم مرتكب الكبيرة عندهم حكم الكافر» اهـ^(٥).

وقال أيضًا: «وفتكوا في من يُنسب إلى الإسلام بالقتل والسبي والنهب» اهـ^(٦).

وقال أيضًا: «وقد استباحوا دماء المسلمين وأموالهم،

٤- الفتح (٢٩٧/١٢).

٥- المصدر السابق.

٦- الفتح (٢٩٧/١٢).

وَسَبَّوْا نَسَائِهِمْ، وزعموا أنهم وحدهم على الإيمان» اهـ.

وسبب هذه الضلالات: «أنَّ من أصول الخوارج المتَّقِي عليها بينهم: الأخذ بما دلَّ عليه القرآن وحده؟! وردَّ ما زاد عليه من الحديث النبوي مُطلقاً؟!.

قلت: وإذا كان الخوارج يردُّون السُّنَّة النبوية ولا يتحاكمون إليها، وقد حكم النبي ﷺ بضلالهم ومروقهم، فكيف بمن يردُّ القرآن والسُّنَّة، فلا يتحاكم إليهما، ولا يرفع بهما رأساً؟! ويتمسك بمذاهب أرضية كالعلمانية والقومية والبرالية وغيرها من المذاهب الباطلة، ماذا يكون حاله عند الله تعالى؟!

كما أننا نبرأ إلى الله تعالى من هذا الفساد والمجازر التي وقعت في بعض البلاد، من انتحلوا فكرة الخوارج، نسأل الله لنا ولجميع المسلمين العفو العافية، والله المستعان.

وقال الشيخ الأشقر في «الأضواء»: «وخطورة هذه الفرقة ومن تابعها: أنها تردُّ أمر الرسول ﷺ بقحَّةٍ وجُرأةٍ، وتُخالف ما جاء به» اهـ^(٧).

٧- (ص ١٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - كما في «مجموع الفتاوى»
 :- «والخوارج جَوَّزُوا على الرسول نفسه أن يَجُورَ وَيَضِلَّ في
 سُنَّتِهِ؟! ولم يُوجِبُوا طاعته ومتابعته؟! وَإِنَّمَا صَدَّقُوهُ فيما بَلَّغَهُم
 من القرآن دون ما شرعه من السُّنَّةِ، التي تُخالفُ بزعمهم
 ظاهر القرآن؟!» اهـ^(٨).

أَسْمَائِهِمْ وَأَلْقَابُهُمْ:

للخوارج أسماءٌ وألقابٌ كثيرة فهم: «خوارج» لخروجهم
 على الامام علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أو لخروجهم من الدِّين، أو لخروجهم
 من الكوفة إلى حروراء.

ويُسَمَّونَ «محكِّمة»: بسبب ما وَضَعُوهُ من شعار
 التحكيم، في قولهم «لاحكم إلا لله».

ويُسَمَّونَ «المارقة»: لمروقهم عن الدِّين، كما ورد في الحديث.
 ويُسَمَّونَ «بالشِّراة» لقولهم: شَرَيْنَا أَنفُسَنَا في الله، أي:
 بعناها لله تعالى ورضاه وبالجنة!! تبعاً لقوله تعالى ﴿إِنَّ

٨- مجموع الفتاوى (٧٣/١٩) وقارن بـ «المجموع (ج: ١٣/ص: ٨)» لشيخ
 الإسلام أيضا.

اللَّهِ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْتَ لَهُمُ
الْجَنَّةَ ﴿التوبة: ١١١﴾

ويُسمون «بكلاب النار»: كما ورد في الحديث: «الخَوَارِجُ
كلابُ النار» رواه أحمد وابن ماجه (١٧٢).

ويُسمون «بأصحاب الجباه السود» لكثرة سجودهم
وصلاتهم.

ويُسمون: «بالنهروانية» نسبةً لواقعة النهروان، التي
قاتلهم فيها علي رضي الله عنه.

ويُسمى الخوارج أنفسهم زوراً: أهل الحق؟! وجماعة
المسلمين؟!

وهم فرق كثيرة تقرب من العشرين.

● واختلف العلماء عليهم رحمة الله في تكفيرهم إلى
قولين: فذهب بعضهم كالقاضي أبي بكر المالكي، والشيخ
تقي الدين السبكي، وهو مقتضى أيضاً صنيع البخاري
رحمه الله في ترجمته إلى تكفيرهم.

لكن الصواب - والله أعلم - أنهم ضالون مُضِلُّون لم
يُكْفِرُوا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ولم
يُكْفِرْهُمَ عَلِيٌّ بِنَ أَبِي طَالِبٍ وَسَعْدُ بِنَ أَبِي وَقَاصٍ وَغَيْرُهُمَا
مِنَ الصَّحَابَةِ، بَلْ جَعَلُوهُمُ مُسْلِمِينَ مَعَ قِتَالِهِمْ» اهـ.

أصول الخوارج وعلاماتهم التي عُرفوا بها:

يمكن تلخيص مذهبهم بما يلي:

١- منها: أنهم يكفرون بكبائر الذنوب التي هي دون الكفر
والشرك.. ويُخلدون أصحابها في النار! كقضية الحكم
بغير ما أنزل الله، فيكفرون كل من وقع في ذلك دون
تفصيل!!

قال الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن الحسين الأجرّي
في كتاب «الشريعة» له:

«ومما يتبع الحرورية من المتشابهة قول الله عز وجل: ﴿وَمَنْ
لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: ٤٤)

ويقرؤون معها: ﴿ تُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾ فإذا أراد الإمام يحكم بغير الحق، قالوا: قد كفر، ومن كفر عدل بربه، فقد أشرك، فهؤلاء الأئمة مشركون!».

وقال أبو عمر بن عبد البر: «وقد ضلت جماعة من أهل البدع من الخوارج والمعتزلة في هذا الباب، فاحتجوا بهذه الآثار ومثلها في تكفير المذنبين، واحتجوا من كتاب الله بآيات ليست على ظاهرها، مثل قوله عز وجل ﴿ وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (التمهيد: ١٦ - ١٧).

وقال الجصاص: «وقد تأولت الخوارج هذه الآية على تكفير من ترك الحكم بما أنزل الله من غير جحود» (أحكام القرآن ٥٣٤/٢).

وقال أبو حيان في تفسيره: «واحتجت الخوارج بهذه الآية على أن كل من عصى الله تعالى فهو كافر، وقالوا: هي نص في كل من حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر» (البحر المحيط ٤٩٢/٣).

ونقل القرطبي عن القشيري قوله «ومذهب الخوارج أن

من ارتشى وحكمَ بغير حُكم الله، فهو كافر» (الجامع لأحكام القرآن ٦/١٩١).

٢- ومنها: أنهم يُكفرون العباد بالمتشابه، كما في قضية التحكيم.

٣- ومنها: أنهم يضعون السيف في أهل القبلة من المسلمين، فيتشغلون بهم عن قتال الكافرين المجرمين، فيقتلون أهل الإسلام، ويتركون أهل الأوثان! كما قال الصحابي الجليل ابن عمر رضي الله عنهما.

٤- ومنها: أنهم يرون الخروج على أئمة المسلمين وحكامهم فيما لا يجوز الخروج عليهم من أجله، كما خرجوا من قبل على علي بن أبي طالب، وغيره من أئمة المسلمين!

٥- ومنها: الجرأة على الحق وأهله بالباطل، كما تجرؤوا من قبل على سيد الخلق ﷺ، فقالوا له: «اتق الله يا محمد، اعدل!» فقال: «من يُطيع الله إذا عصيته، أيأمنني الله على أهل الأرض ولا تأمنوني؟! فلما ولى الرجل، قال: «إن من ضئضى هذا، أو في عقب هذا قوماً،

يقرأون القرآن لا يُجاوز حناجرهم، يرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أدركتهم قتلتهم قتلَ عاد، سيماهم التحليق والتسبيد، فإذا رأيتموهم فأنيموهم».

والتسبيد: هو جز شعر الرأس واستئصاله.

٦- وجرهم ذلك إلى الطعن في أصحاب رسول الله ﷺ، بل تكفير بعضهم كعلي وطلحة والزبير ومعاوية وعائشة رضي الله عنهم.

ولا يزال بعض الكتاب المتأثرين بهذا المنهج، يوجه الطعن لأصحاب النبي ﷺ كعثمان وعلي ومعاوية رضي الله عنهم وغيرهم.

٧- ثم الطعن في العلماء الأجلاء، واستهانتهم بالأعلام منهم، واتهامهم بالخيانة والعمالة للحكام؟! والركون إلى الدنيا والمناصب!؟

٨- ومنها: الجهل بالكتاب الكريم، والسنة النبوية، وأقوال سلف الأمة، ومن جهلهم: أنهم ينطلقون إلى نصوص

جاءت في الكافرين، فيحملونها على المؤمنين! وهذا من قلبهم للحقائق، ولهم أيضاً في هذا الباب صور أخرى فمن ذلك:

• تسميتهم لدارهم التي يفرون إليها، كالجبال والكهوف والصحارى والقفار، بدار الهجرة؟! أو دار المؤمنين؟! وأما دار المسلمين المخالفين لهم فيسمونها: دار الحرب أو دار الكفر؟!!!

• تسميتهم لقتل النفوس المعصومة، بل والأطفال والنساء والضعفاء بالجهاد؟! والفاعل لهذا المنكر: بالمجاهد؟! والشهيد!! ويفتخرون بذلك؟!!

• دعوتهم لتحكيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ولو حكموا كتاب الله على أنفسهم، لما استحلوا الدماء والأموال!! والتدمير والتفجير في بلاد الإسلام فضلاً عن غيرهم؟ فإن مجرد الكفر، لا يُحل الدم والمال، كما هو معلوم، لكن كما قال رسول الله ﷺ: «يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من

الرمية» أي: لا يفهمون كتاب الله تعالى مع قراءتهم له!

٩ - ولهم أصول أخرى فاسدة حدثت لهم لاحقا، في الأسماء والصفات، وفي الرؤية وغيرها، التقوا بها مع المعتزلة، وغلاة الجهمية، يتبنى نشرها في هذه الأيام إباضية عُمان، وهم فرقةٌ من فرق الخوارج!

فكل من اتصف بهذه الصفات، أو ببعضها، يُحكم عليه أنه من الخوارج، أو فيه من صفاتهم، بقدر ما يتصف بصفاتهم الأنفة الذكر، سواء تسمى باسمهم أم لم يتسم بها.

أما تكفير الكافر الذي كفره الله تعالى ورسوله، وكذلك قتال من أوجب الشارع قتاله وجهاده بالضوابط الشرعية، فهذا دين يُحمد فاعله، لأنه موافق للشرع الحنيف، ولا يجوز أن يُرمى بالخروج أو أنه خارجي؟!

بل رمي من كان هذا وصفه بأنه خارجي؟! وغير ذلك من الألقاب التي تُفيد الذم، يُعد ذلك من قبيل الطعن بالدين، وقد يُفضي بصاحبه إلى الكفر، والخروج من الدين، وهو لا يدري!

مظاهر الخروج على الحكام:

١ - الطعن في الولاية باللسان ونشر العيوب:

الخروج على الأئمة يكون بالقول وبالکلمة، كما يكون بالسيف والقوة، بل لا خروج بالسيف إلا ويسبقه كلامٌ وطعن، ومن المعلوم أن الفعل يسبقه النية والكلام، وأن الفتن العظام قد يكون أصلها كلامًا لا يبالي به قائله، ثم يعظم ذلك الكلام حتى ينتقل لحيز الأفعال، وأصل الخوارج قولُ قاله أولهم، وهو قول ذلك الرجل للنبي ﷺ: «اعدل يا محمد!!»^(٩).

ولم يُشهر ذلك الرجل سيفًا آنذاك، ولم يحمل سلاحاً، ثم جاء بعده مَنْ سلك منهجه في التعقُّب والإنكار، والاستطالة باللسان، فكفر المبشرين بالجنة من الصحابة؟! عثمان وعليًا وغيرهما رضي الله عنهم؟! وتناول على منزلة الصحبة، فضلاً عن غيرهم من الخلق.

وكان الطعن في الأمراء - تحت شعار الأمر بالمعروف

٩- كما سبق ذكره.

والنهي عن المنكر- بدعة سبئية أيضا، ابتدأها عبد الله بن سبأ اليهودي ؛ لتفريق الأمة، وإشعال الفتن بين أبنائها، وكان نتاج بدعته هذه: قتل خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ثم تبادت هذه الفرقة في الفعل، فحصل منها قتل لأهل الإسلام، وترك لأهل الأوثان!! وإغارة على أموال المسلمين وذراريهم ونسائهم!؟

والأدلة على هذا كثيرة، منها:

١- ما رواه عقبة بن وساج قال: كان صاحبٌ لي يحدثني عن شأن الخوارج وطعنهم على أمرائهم، فحججت فلقيت عبد الله ابن عمرو فقلت له: أنت من بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد جعل الله عندك علماً، وأناست بهذا العراق يطعنون على أمرائهم، ويشهدون عليهم بالضلالة! فقال لي: أولئك عليهم لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين، أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بقليد من ذهب وفضة، فجعل يقسمها بين أصحابه، فقام رجل من أهل البادية فقال: يا محمد،

والله لئن أمرك الله أن تعدل، فما أراك أن تعدل؟! فقال: «ويحك، من يعدل عليه بعدي؟!» فلما ولى قال: «ردّوه رويداً» فقال النبي ﷺ: «إن في أمّتي أخصاً لهذا، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرجوا فاقتلوهم» ثلاثاً^(١٠).

٢ - وعن زياد بن كسيب العدوي قال: كنت مع أبي بكرة رضي الله عنه تحت منبر ابن عامر، وهو يخطب وعليه ثياب رقاق، فقال أبو بلال: انظروا إلى أميرنا، يلبس ثياب الفسّاق!؟

فقال أبو بكرة: اسكت، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أهان سلطان الله في الأرض، أهانه الله»^(١١).

٣- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نهانا كبارؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: لا تسبّوا أمراءكم، ولا تغشوهم، ولا تبغضوهم، واتقوا الله واصبروا، فإنّ الأمر قريب^(١٢).

١٠- رواه ابن أبي عاصم في السنة: (٩٣٤). وقال الألباني رحمه الله في «ظلال الجنة في تخريج السنة»: إسناده صحيح على شرط البخاري.

١١- رواه الترمذي في جامعه (٢٣٣٩)، وصححه الألباني وفي الصحيحة (٢٢٩٦).

١٢- إسناده جيد، رواه لابن أبي عاصم (١٠١٥) وقال الألباني: إسناده جيد، ورجاله ثقات.

فالصحابة رضي الله عنهم لم يُرَخِّصُوا لِرَجُلٍ أَنْ يَلْعَنَ
أَمِيرًا، أَوْ ذَا سُلْطَانٍ، أَوْ يَدْعُو عَلَيْهِ، وَهَذَا مَجْرَدُ كَلَامٍ،
وَلَيْسَ بِإِشْهَارِ سَيْفٍ، كَمَا هُوَ وَاضِحٌ مِنْ هَذَا الْأَثَرِ
الثَّابِتِ عَنْهُمْ.

٤ - وعن هلال بن أبي حميد قال: سمعت عبد الله بن
عكيم يقول:

لَا أَعِينُ عَلَى دَمِ خَلِيفَةٍ أَبَدًا بَعْدَ عَثْمَانَ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا
أَبَا مَعْبُدٍ، أَوْ أَعْنَتَ عَلَى دَمِهِ؟! فَيَقُولُ: إِنِّي أَعَدُّ ذَكَرَ
مَسَاوِيهِ، عَوْنًا عَلَى دَمِهِ^(١٣).

٥ - وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: إِنَّ أَوَّلَ نِفَاقِ الْمَرْءِ:
طَعْنُهُ عَلَى إِمَامِهِ^(١٤).

٦ - وعن معاذ بن جبل قال: الْأَمِيرُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،
فَمَنْ طَعَنَ فِي الْأَمِيرِ، فَإِنَّمَا يَطْعَنُ فِي أَمْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^(١٥).

١٣ - المعرفة والتاريخ (١/ ٢٣١ - ٢٣٢).

١٤ - رواه البيهقي في الشعب (٧/ ٤٨) من حديث أبي موسى الأشعري وابن
عبد البر في التمهيد (٢١/ ٢٨٧).

١٥ - كتاب الأموال (٣٣) وإسناده حسن.

٧- وعن أبي مجلز قال: سبُّ الإمام الحالقة، لا أقول: حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين! (١٦).

٨- وعن ابن المبارك رحمه الله تعالى قال: مَنْ استخفَّ بالعلماء ذهب أخته، ومن استخف بالأمرء، ذهب دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهب مروءته (١٧).

٩- وعن الزبير قال: كنت عند أبي وائل شقيق بن سلمة، فجعلت أسب الحجاج، وأذكر مساويه. قال: لا تسبه، وما يدريك لعله يقول: اللهم اغفر لي، فغفر له (١٨).

١٠- وعن أبي إسحاق السبيعي رحمه الله أنه قال: ما سبَّ قومٌ أميرهم، إلا حُرِّموا خيره (١٩).

١٦- كتاب الأموال لابن زنجويه (٣٤) بسند حسن.

١٧- تاريخ دمشق لابن عساكر.

١٨- أخرجه هناد في الزهد (٢٩٠).

١٩- ابن عبد البر في التمهيد، وأبو عمرو الداني في الفتن.

أقوال الأئمة من السلف في ذلك:

١- قال الإمام الفضيل بن عياض رحمه الله: لو كان لي دعوة مستجابة ما صيرتها إلا في الإمام، قيل له: وكيف ذلك يا أبا علي؟ قال: متى صيرتها في نفسي لم تجزني، ومتى صيرتها في الإمام، فصالح الإمام صلاح العباد والبلاد، قيل له: يا أبا علي فسّر لنا هذا؟! قال: إذا جعلتها في نفسي لم تعدني، وإذا جعلتها في السلطان، صلح فصلح بصلاحه العباد والبلاد^(٢٠).

٢- ويروي أيضا ذلك عن الإمام أحمد رحمه الله أنه كان يقول: لو أني أعلم أن لي دعوة مستجابة، لصرفتها للسلطان^(٢١).

٣- وقال الإمام البربهاري: إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان؛ فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح؛ فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله تعالى^(٢٢).

٢٠- حلية الأولياء (٩١/٨).

٢١- انظر الآداب الشرعية لابن مفلح.

٢٢- شرح السنة للبرهاري.

٤- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وأما أهل العلم والدين والفضل، فلا يرخصون لأحد فيما نهى الله عنه من معصية ولاة الأمور، وغشهم، والخروج عليهم بوجه من الوجوه، كما قد عُرف من عادات أهل السنة والدين قديماً وحديثاً، ومن سيرة غيرهم»^(٢٣).

٥- وقال ابن حجر في وصف بعض أنواع الخوارج: «والقعدية الذين يُزَيَّنون الخروجَ على الأئمة، ولا يباشرون ذلك».

بعض أقوال أهل العلم المعاصرين في ذلك:

١- قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله تعالى في تعليقه على رسالة العلامة القاضي الشوكاني رحمه الله تعالى «رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلطين»: وقد قال الرسول ﷺ: «إنه يخرج من ضئضئ هذا الرجل من يحقر أحدكم صلاته عند صلاته، يعني: مثله، وهذا أكبر دليل على أن الخروج على الإمام يكون بالسيف، ويكون بالكلام، هذا ما أخذَ السيفَ على الرسول -

٢٣- مجموع الفتاوى (١٢/٣٥).

عليه الصلاة والسلام - لكنه أنكر عليه، وما يوجد في بعض كتب أهل السنة، من أن الخروج على الإمام: هو الخروج بالسيف، فمرادهم بذلك: هو الخروج النهائي الأكبر، كما ذكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم الزنى يكون بالعين، ويكون بالأذن، ويكون باليد، ويكون بالرجل، لكن الزنى الأعظم: هو زنى الحقيقة، هو زنى الفرج، ولهذا قال: الفرج يُصدِّقه أو يُكذِّبه.

قال: فهذه العبارة من بعض العلماء هذا مرادهم، ونحن نعلم علم اليقين بمقتضى طبيعة الحال: أنه لا يمكن خروج بالسيف، إلا وقد سبقه خروج باللسان والقول.

الناس لا يمكن أن يأخذوا سيوفهم يحاربون الإمام بدون شيء يثيرهم، لا بد أن يكون هناك شيء يثيرهم، وهو الكلام، فيكون الخروج على الأئمة بالكلام خروجًا حقيقة، دلَّت عليه السنة، ودلَّ عليه الواقع.

أما السنة فعرفت موها، وأما الواقع: فإننا نعلم علم اليقين:

أن الخروج بالسيف فرغ عن الخروج باللسان والقول، لأن الناس لم يخرجوا على الإمام بمجرد أخذ السيف، لا بد أن يكون توطئة وتمهيد: قدح في الأئمة، وستر لمحاسنهم، ثم تمتلئ القلوب غيظاً وحقداً، وحينئذٍ يحصل البلاء انتهى^(٢٤).

٢- وسئل صاحب الفضيلة الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى: هل الخروج على الأئمة يكون بالسيف فقط؟ أم يدخل في ذلك الطعن فيهم، وتحريض الناس على منابذتهم والتظاهر ضدهم؟

فأجاب حفظه الله تعالى بقوله: ذكرنا هذا لكم، قلنا: الخروج على الأئمة يكون بالسيف، وهذا أشد الخروج، ويكون بالكلام: بسبهم، وشتهم، والكلام فيهم في المجالس، وعلى المنابر، هذا يهيج الناس ويحثهم على الخروج على ولي الأمر، وينقص قدر الولاية عندهم، فالكلام خروج انتهى^(٢٥).

٢٤- الشريط (٢/أ).

٢٥- الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية.

٣- وقال فضيلة الشيخ صالح بن غانم السدلان حفظه الله تعالى جواباً عن سؤال على من قَصَرَ الخروج على ما إذا كان بالسيف، وظن أن التهيج بالكلام ليس خروجاً!! فقال حفظه الله تعالى: هذا السؤال مهم، فالبعض من الإخوان قد يفعل هذا بحسن نية، معتقداً أن الخروج إنما يكون بالسلاح فقط، والحقيقة أن الخروج لا يقتصر على الخروج بقوة السلاح، أو التمرد بالأساليب المعروفة فقط، بل إن الخروج بالكلمة أشد من الخروج بالسلاح، لأن الخروج بالسلاح والعنف لا يُرَبِّيه إلا الكلمة، فنقول للأخوة الذين يأخذهم الحماس، ونظن منهم الصلاح - إن شاء الله تعالى - : عليهم أن يترثوا، ونقول لهم: رويداً، فإن صَلفكم وشدتكم تربي شيئاً في القلوب، تربي القلوب الطرية التي لا تعرف إلا الاندفاع، كما أنها تفتح أمام أصحاب الأغراض أبواباً، ليتكلموا وليقولوا ما في نفوسهم - إن حقاً وإن باطلاً - .

ولا شك أن الخروج بالكلمة، واستغلال الأرقام

بأي أسلوب كان، أو استغلال الشريط، أو المحاضرات، والندوات في تحميس الناس على غير وجه شرعي؛ أعتقد أن هذا أساس الخروج بالسلاح، وأحدّر من ذلك أشد التحذير، وأقول لهؤلاء: عليكم بالنظر إلى النتائج، وإلى من سبقكم في هذا المجال، لينظروا إلى الفتن التي تعيشها بعض المجتمعات الإسلامية، ما سببها؟ وما الخطوة التي أوصلتهم إلى ما هم فيه؟! فإذا عرفنا ذلك؛ ندرك أن الخروج بالكلمة، واستغلال وسائل الإعلام، والاتصال للتفجير والتحميس والتشديد؛ يربي الفتنة في القلوب. انتهى.

فعلم أيها الأخوة الكرام من تلك النقول الكثيرة: أن مجرد التحريض على السلطان المسلم - وإن كان فاسقا أو ظالما - صنعة الخوارج قديما وحديثا ومن يتابعهم في خطئهم.

وكثير من الخطباء اليوم يقع في هذا، إلا من رحم الله تعالى، وقد يفعل هذا بحسن نية، معتقدا أنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٢ - الدعاء على ولاة الأمور:

هو من أنواع الخروج على الأئمة، وهو مما يزيد الشر والقطيعة بين الناس وأئمتهم، فعن عَوْفِ بْنِ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «خِيَارُ أئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ» قَالُوا: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟ قَالَ: «لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ، إِلَّا وَمَنْ وُلِّيَ عَلَيْهِ وَالٍ، فَرَأَهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، فَلْيَكْرَهُ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا تَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ». رواه مسلم في كتاب الإِمَارَةِ (١٤٨١/٣).

ومن عقيدة أهل السنة والجماعة التي امتازوا بها عن أهل البدع: الدعاء لولي الأمر بالصلاح والإصلاح، وعدم الدعاء عليهم.

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن

جاروا، ولا ندعوا عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة، ما لم يأمرُوا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافة».

وقال شيخ الإسلام أبو عثمان الصابوني رحمه الله في كتابه «عقيدة السلف أصحاب الحديث»: «ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، وبسط العدل في الرعية». (عقيدة السلف أصحاب الحديث ص ٩٣).

وقال الإمام البربهاري رحمه الله: «إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح، فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله تعالى».

فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاح، ولم نؤمر أن ندعو عليهم، وإن جاروا وظلموا، لأن جورهم وظلمهم على أنفسهم، وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين». شرح السنة للبرهاري (الفقرة ٩٩).

وقد سبق قول الفضيل بن عياض: «لو كان لي دعوة ما جعلتها إلا في السلطان، فأمرنا أن ندعو لهم بالصلاة، ولم

نُؤَمِّرُ أَنْ نَدَعُوَ عَلَيْهِمُ، وَإِنْ جَارُوا وَإِنْ ظَلَمُوا، لِأَنَّ جَوْرَهُمْ
وِظْلَمَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَصِلَاحَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ
وَلِلْمُسْلِمِينَ».

٣ - عدم السمع والطاعة:

وهذا من مظاهر الخروج على الأئمة، وشق عصا الطاعة لهم.

وقد دلت الآيات والأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ على وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور، قال الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ (النساء: ٥٩).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ٨٣).

وأما الأحاديث: فقد قال الرسول الله ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه ليس أحدٌ يفارق الجماعة شبراً فيموت إلا مات ميتة جاهلية» متفق عليه.

وقال ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يداً من طاعة».

وقال ﷺ: «على المرء السمع والطاعة فيما أحبَّ وكره، في المنشط والمكروه، ما لم يؤمر بمعصية الله».

وقد بايع الصحابة رضي الله عنهم النبي ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكروه، والعسر واليسر، وعلى ألا ينزعوا يداً من طاعة، إلا أن يروا كفراً بواحاً، عندهم من الله فيه برهان، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

والمشروع في مثل هذه الحال مناصحة ولاية الأمور، والتعاون معهم على البر والتقوى، والدعاء لهم بالتوفيق والإعانة على الخير، حتى يقل الشر ويكثر الخير.

ومن خالف ذلك، وأظهر العصيان لولي أمره، والتشويش عليه، والتهوين من شأنه، والاستخفاف بقوله وأمره، فقد شابه الخوارج في سمتهم وصفتهم ونهجهم.

٤ - المظاهرات والتجمهر والاعتصامات:

ومن مظاهر الخروج في عصرنا: المظاهرات والتجمهر والاعتصامات، وإثارة الاضطرابات لأجل المال والمناصب والدنيا! وأحيانا لأجل إنكار المنكرات!!

وهي من الفتن التي ابتلينا بها في عصرنا هذا، وهي من الغزو الفكري الغربي لديار الإسلام، وما خلفه من آثار في شتى المجالات، العقديّة والخلقيّة والتربويّة والسلوكيّة والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها.

حيث قلدوا الغرب في ذلك، مصداقا لقوله ﷺ: «لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع؛ حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم!»

قيل: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟! (متفق عليه).

والعجيب أن مظاهر هذا الغزو وصوره لم تقتصر فقط على الذين ليسوا بمتدينين، بل لحقت حتى بمن ينتسب إلى

الديانة أحيانا، بل ربما من يتصدر لتدريس الناس وتعليمهم الدين! في المساجد وكليات الشريعة؟!

وإننا لا نعلم في النصوص الشرعية من الكتاب والسنة، وعمل السلف، ما يدل على جوازها، أو ما يدل على مشروعيتها، والمسلم عليه أن يكون متبعا لا مبتدعا، ففي ذلك الغنية والكفاية عن الأمور المحدثه،،

وكل خيرٍ باتباعٍ من سلف

وكل شرٍ بابتداعٍ من خلف

بل فيها من المخالفات للنصوص الشرعية الصحيحة السابقة، والمفاسد والشُرور الكثيرة، وما تؤدي إليه أحيانا كثيرة من الأضرار بالأنفس والممتلكات، ودخول ذوي الأغراض الفاسدة فيها، ما هو معروف لكل ذي بصيرة، مما يقضي بحرمتها ومنعها.

وهي مظهر من مظاهر الخروج!

هذه مظاهر الخروج قولاً وعملاً باختصار.

نسأل الله تعالى السلامة من كل شر وبلاء، وأن يحفظنا
من انحرافات أهل الغلو والجفاء سواء.

والله تعالى أعلم،،،

وصلّى الله وسلّم وبارك على عبده ورسوله وآله وصحبه
أجمعين.

الانحراف في الإصلاح!



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وآله وصحبه
ومن اهتدى بهداه.

أما بعد:

فإنَّ وظيفة الإصلاح في المجتمعات، ووظيفة الأنبياء
والرسل، وأتباع الأنبياء والرسل، فقد قال عز وجل على
لسان نبيه شعيب عليه السلام: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ
وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ (هود: ٨٨).

وكل طاعة يقوم بها الصالحون من صلاة وزكاة وصيام
وقراءة للقرآن، هي لبنة في صلاح الأرض وعمارتها بالخير،
وهي سبب لنزول الرحمات، وكثرة الخيرات، ودفع الشرور
والنقمات، ورب حسنة وطاعة كانت سببا في نجاة فرد، بل
أفراد وجماعات من العذاب والهلاك، وصرفه عنهم، بل
حتى الذكر باللسان والاستغفار، هو سبب يفتح الله به
أبواب البركات والخيرات، على البلاد والعباد .

قال الله سبحانه: ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبْنِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴾ (نوح: ١٠-١٢).

ومن أعظم الإصلاح في الأرض: الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإذا تعلّم المسلم أركان الإيمان، وفرائض الإسلام، بلّغها الناس، وعلمها الجاهلين، وذكر بها الغافلين، وإذا عرف الكبائر والمحرمات الظاهرة، حذّر منها المسلمين، وخوفهم من سخط الله وعقابه، ويبدأ بمن حوله من أهل بيته وقربته، وجيرانه وأصحابه، ثم إلى غيرهم، يبتغي في ذلك مرضات الله عز وجل، والصالح للناس.

والإصلاح والدعوة إليه من صفات المؤمنين والمؤمنات، وهي سبيل النّجاة والرحمة، والفوز والظفر، والفلاح والنجاح في الدنيا والآخرة، ولا يقوم بها إلا القلة من الناس!

كما قال تعالى منبها على ذلك بقوله: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ

إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴿ (هود: ١٦).

وبالدعوة إلى الخير والهدى، والنهي عن الشر والضلال، يحصل أيضاً قيام الحجة على عباد الله تعالى، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيي عن بينة .

وللإصلاح معالم وضوابط وأصول، حددها الله تعالى في كتابه الكريم، وبينها رسوله صلى الله عليه وسلم بسيرته العطرة، قولاً وفعلاً وتقريراً، وكذا أصحابه وأتباعهم من بعده، بالمنقول عنهم، وبما دونه علماءهم الربانيون في مؤلفاتهم وكتبهم، فلا يجوز تجاهلها والإعراض عنها، والاشتغال بغيرها من الأهواء والبدع .

لكن يبقى الخلاف في طرق الإصلاح ومناهجه، موجودا بين البشر، إلا من رحم الله تعالى، قال تعالى ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴾ (هود: ١١٨).

فأهل الرحمة: من هداهم الله تعالى للعلم بالحق، والعمل به، والدعوة إليه، ومن عداهم فهم أهل الشقاء والخذلان، عافانا الله سبحانه من سوء وبلاء .

وأَسباب الانحراف في فهم وتصوير الإصلاح وأولويات الإصلاح، يرجع إلى ثلاثة أسباب:

السبب الأول: التأثير بمذاهب أهل البدع في الإصلاح، والتي تقرر هذه المخالفات للكتاب والسنة المطهرة: مثاله تأثر بعض دعاة التغيير والإصلاح: بمذهب الخوارج، والذي يسعى إلى إسقاط هيبة السلطان والدولة، والإنكار عليه علانية، والسعي في تأليب الناس عليه، واستعمال المظاهرات ضده، أو للضغط عليه بغيره من الأساليب، بل والسعي في خلعه وإزالته.

وهذا الطريق هو حقيقة مذهب الخوارج، القائلين بوجود خلع الإمام بمجرد الفسق، وارتكاب الكبيرة؟! ولا يرون له عند ذلك حُرمة ولا طاعة، بل يستبيحون دمه؟! وكثير من هؤلاء يقول بقول الخوارج أيضا في التكفير بالكبيرة، والقول بإزالة الحاكم الجائر أو الفاسق، أو يلتمح به إن لم يصرح.

السبب الثاني: الخلل في فهم التشريع السياسي الإسلامي، وبناء التصور السياسي المعاصر على وفق المبادئ الغربية الإلحادية؟! من العلمانية والديموقراطية والقومية وغيرها؟!

فأساءوا الظن بشريعة رب العالمين في هذا الباب أو جهلوها؟! واعتقدوا ما يضادها؟! فمن الحكم لله عز وجل إلى تحكيم الأصوات؟

ومن سيادة الشريعة إلى سيادة الشعب أو الدستور؟!

ومن العبودية لله سبحانه إلى الحرية الفردية المطلقة؟!

ومن سعة وسمو الأخوة الدينية الإيمانية، إلى ضيق وتن القومية أو الوطنية؟!

كل ذلك تأثراً بالتيارات الفكرية الغربية؟! ونظريات الليبرالية السياسية، أو إرضاء للقوى الخارجية، مقابل تمكينهم من السلطة؟!

حتى ظن هؤلاء وصرح بعضهم: أن تحقيق العدالة

والحرية للجميع، لا يتحقق إلا عن طريق الدولة المدنية والانتخابات؟! وحكم الشعب للشعب؟! ونسوا أن الحكم لله تعالى وليس للعبيد!! أو تجاهلوا ذلك! وردّوا ألفاظ الغرب والشرق في تأليه الإنسان (جعله إلها حاكما بما يشاء؟!)، وشعاراته البراقة بمعانيها الفارغة، كالحرية والإخاء والمساواة؟!!

وهي شعارات الماسونية، كما هو معلوم عند العامة والخاصة. وصرنا نسمع من يحاول أن يبرر هذه الثقافات الغربية، ويلبسها لباس الإسلام؟! كما حصل مثل ذلك سابقا من بعض الكتاب الإسلاميين مع الشيوعية والاشتراكية.

وصرنا نسمع الدعوة إلى حرية الأديان؟ واحترام وقبول الآخر (من الكفار والمشركين) والتعددية الحزبية، والدولة المدنية، وتداول السلطة، حتى من بعض المنتسبين العلم والدعوة، والدعاة إلى التغيير والإصلاح الديني، نعوذ بالله من الحور بعد الكور.

وذهب بعضهم لطرح فكرة الملكية الدستورية؟! وهي

محاولة التفافٍ على السلطة كما يقال، وتمكينٌ لليبرالية والعلمانية، بإظهار نوع من التنازل لها، كخطوة أولى، وحتى لا يظهر مشروع الإصلاح المزعوم بمظهر العداء المحض، ومؤسس هذه الفكرة هو الليبرالي الملحد: «جون لوك» وقد طرح هذه الفكرة لمواجهة الملكية الإنجليزية في زمانه، وهؤلاء يسعون على خطى سلفهم من فلاسفة ليبرالية الغرب ومنظرّينهم؟!!

فهل يجوز منازعة الحاكم، والمنافسة على السلطة والتقليل من مقامه باسم الديمقراطية؟! إذا علمنا ان الاسلام قد أوجب للسلطان على رعيته السمع والطاعة في غير معصية الله، وحرّم الخروج عليه ما لم نر كفراً بواحاً، عندنا من الله فيه برهان، كما ثبت في الحديث الصحيح؟!!

بل وراء ذلك كله اتباع الهوى، والهوس في تولي السلطة، والطمع في زينة الدنيا وحطامها؟!!

وقد قال تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّكَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (القصص: ٥٠).

وفي خضم هذه الأهواء والنظريات والسياسات البعيدة عن الشرع، والتطبيقات العقلية لها، تتلاشى الأولويات الشرعية؟ فلا نجد أثرا للدعوة إلى توحيد الله عز وجل والتوحد على ذلك، والتجرد لمتابعة النبي ﷺ، وتعظيم سنته، والتمسك بأحكام شريعته.

وطاعة ولاية الأمر من الأمراء والعلماء، واعتقاد وجوب السمع والطاعة لهم ديناً، ولزوم جماعة المسلمين، والمحافظة على عصمة الدماء والأموال والأعراض والنسل، بل أصبحت مظاهر المنكرات بل والكبائر في محل القبول لدى هؤلاء؟!!

أو في محل التغاضي عنها، كالربا والفواحش والاختلاط والسفور والخمر من غير نكير، بل ضاعت عقيدة الولاء والبراء، وهجران أهل البدع، حتى المغلظة منها؟!!

بل صرنا نرى النقيض من ذلك؟! فنرى موالاته أهل البدع، بل وأهل الكفر والإشراك أيضاً؟! والتودد لهم وإرضائهم، وفي المقابل نجد الطعن على أهل السنة ومنهاجهم

وعقيدتهم؟! واللمز والهمز بالقواعد والأحكام التي قررتها
الشريعة الغراء، ودرج عليها السلف الصالح، كلزوم جماعة
المسلمين، والإقرار بالسمع والطاعة للأئمة وإن جاروا،
وكالعناية بالنصيحة لهم سراً، حتى وُصف ذلك بأنه رضى
بالظلم؟! وتحطيم للأمة وإذلال لها؟! وسعى بعضهم للطعن
في الأحاديث الدالة على ذلك وتضعيفها؟!

السبب الثالث: الخلل والجهل في تصور واجبات الحاكم

نحو شعبه، والتأثر بالنظرة الغربية الشهوانية:

فقد اعتقد كثيرٌ من المسلمين أن مسؤولية الحاكم
وولي الأمر الأولى هي: الفناء في توفير الراحة والرفاهية
والترف للشعب، وأسباب السعادة والمتعة، ومجانية العلاج
والتعليم، لتحقيق الرفاهية والمتعة؟!

وهكذا توفير الوظائف والرواتب، ورعاية المعوقين ونحوها،
والصحيح: أن هذا وإن كان مما يلزم الدولة بقدر إمكانياتها،
لكنه ليس هو أول مسؤوليات الحاكم، ولا أولويات الدولة
المسلمة المؤمنة، لا سيما إذا كانت الدولة فقيرة، وبعض

ذلك وإن دخل في عموم المصالح العامة، فإما أن يكون مباحا يجوز السعي إليه، ويُؤخذ منه بقدر الحاجة والقدرة، وأما ما كان واجبا أو مستحبا فإنه ينظر إليه بحسب درجته بين الأولويات الشرعية.

وإذا كان العالم الغربي غالبه ملحدًا أو بعيد عن الدين، ولا همّ له إلا متاع الحياة الدنيا، فما بالنا نحن المسلمون الذين أكرمنا الله بالإسلام وبشريعته الغراء، نجعل مقاييسهم ومفاهيمهم مقاييساً لنا ومفاهيم؟! ومبادئ في حياتنا وتعاملاتنا مع بعضنا؟! وفي إقامة مجتمعاتنا التي يجب أن تكون كما أراد الله عز وجل لنا، قال سبحانه ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

وقال الله تعالى ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (٧) وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصْلَ أَعْمَلُهُمْ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿ (محمد: ٧ - ٩).

وأهم ما يتعلق بالمصالح الدنيوية يرجع إلى أمرين،

ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية، وهما:

١- قسّم المال بين مستحقه بالعدل.

٢- وردع المعتدين والجناة.

والمقصود: «إعطاء الناس حقوقهم المالية، ودفع الشر والمجرمين عنهم وحمايتهم، وتكميل ذلك بتوفير الخدمات التي تيسر أمور حياتهم ومعيشتهم، والناس بطبيعة الحال إذا أعطوا الأمن والعدل، قاموا بتدبير شؤون حياتهم، والتصرف فيها والتكسب بما يعود عليهم بالخير والرفاهية، والدولة تقوم بمعونتهم في ذلك بقدر الاستطاعة، وبما يوافق أحكام الشريعة، ولكن عدم الفهم الصحيح لهذه النقطة يساهم في وقوع الانحراف في فهم الأولويات في الإصلاح، وبالتالي اتهام الآخرين بالتقصير والإخلال».

هذا وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

والله تعالى أعلم

الفهرس

٥ المقدمة
٧ التعريف بالخارج
١٢ أسمائهم وألقابهم
١٤ أصول الخارج وعلاماتهم التي عُرفوا بها
٢٠ مظاهر الخروج على الحكام
٢٥ أقوال الأئمة من السلف في ذلك
٢٦ بعض أقوال أهل العلم المعاصرين في ذلك
٣١ الدعاء على ولاية الأمور
٣٤ عدم السمع والطاعة
٣٦ المظاهرات والتجمهر والاعتصامات
٣٩ الانحراف في الاصلاح
٤٤ أسباب الانحراف: السبب الأول
٤٥ السبب الثاني
٤٩ السبب الثالث
٥١ أهم ما يتعلق بالمصالح الدينوية